القصور الآشورية

ممتاز حازم داود الديوجي *

المقدمة :

خلال القرون الأخيرة من الإلف الثاني قبل الميلاد تحددت ملامح فن العمارة الآشورية بشكل واضح ، هنا تظهر أساليب مميزة في التعاطي مع المظهر العام للأبنية وخاصة الصرحية منها كالمعابد والقصور وكذلك تم ابتكار بعض أساليب معالجة الواجهات .

مع بداية الألف الأول قبل الميلاد وبداية الفترة الآشورية الحديثة تحققت انجازات ضخمة في مجال البناء والعمارة تزامنت مع ظهور الإمبراطورية الآشورية كقوة إقليمية كبرى ويؤرخ لهذه الفترة مع عهد آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣–٨٥٩ ق . م) والذي نقل عاصمة حكمه من مدينة آشور إلى عاصمة شيدت حديثا في كالح (نمرود) التي تبعد ٣٧ كيلومتر جنوب الموصل.

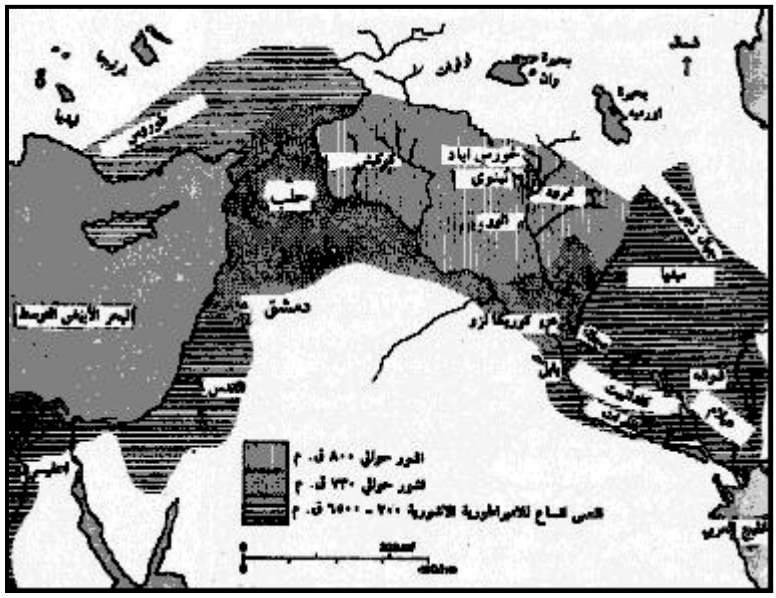

الشكل (١) : **الإمبراطورية الآشورية** .

* أستاذ مساعد /قسم الهندسة المعمارية / كلية الهندسة / جامعة الموصل

الملوك الذين خلفوا آشور ناصربال الثاني اتخذوا من مدينة نينوى الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة عاصمة لهم. في حين قام سرجون الثاني بتشييد عاصمته الخاصة في خورسباد (دور شروكين) إلى الشمال الشرقي من مدينة الموصل .

كل عاصمة من هذه العواصم كانت ضمن موقع تم إشغاله سابقا من قبل مستوطنة صغيرة وكانت بقايا هذه المستوطنات تسوى لتشكل بدورها مساطب مرفوعة وحيث يتم تشييد المباني الرئيسة في المدينة الجديدة عليها.

الخصائص العامة لأبنية القصور الآشورية :

تميزت الفترة الآشورية الحديثة بالتأكيد والتركيز على تشييد القصور الملكية والتي تميزت بمجموعة من الخصائص يمكن إجمالها بما يلي :

١ – كانت الأسوار تشيد من اللبن وحيث يوضع هذا اللبن بدون مادة رابطة بعد جفافه بشكل جزئي ليثبت بتأثير وزنه ، ثم يغلف اللبن بطبقة سميكة من الحجر . الطابق المفخور استخدم في تشييد العقود وفي بعض الحالات كان يزجج لعمل تشكيلات ملونة لتزيين الواجهات.

٢ – في الغرف المهمة والقاعات الرئيسية مثل قاعة العرش كان يتم تزيين المداميك أو الأجزاء السفلى من الجدران الداخلية بنحوت بارزة وفوق أجزاء هذه النحوت البارزة تأتي الرسوم الجدارية والتي غالبا ما اتخذت تشكيلات تقليدية نمطية .

٣ – كانت البوابات الخارجية بشكل عقود نصف دائرية أو نصف بيضوية وتحف بها من الجانبين تماثيل بأشكال الثيران المجنحة لتقوم بوظيفة الحراسة الرمزية . أقيمت هذه التماثيل ضمن الجوانب لتبدو وكأنها مساند جانبية للفتحات النصف دائرية التي تقوم فوقها . الثيران المجنحة تكون مزدوجة وذات خمسة ارجل.

٤ – استعملت الأبواب المزدوجة من الخشب وأشهرها هي أبواب بالاوات. قياس كل فردة أو مصراع من هذه الأبواب المزدوجة كان ١,٨ مترا عرضا و ٦,١ مترا ارتفاعا وترتكز على عمود ارتكاز جانبي وتقفل بحلقة حجرية في القمة ، تزينت كل فردة بشرائط أفقية من البرونز بعرض ٢٨ سنتمترا وبسمك لا يزيد عن ٢ مليمتر وتمتد هذه الشرائط على طول

البوابة وتستمر حول عمودي الارتكاز الجانبيين . زخرفت هذه الأشرطة البرونزية بأسلوب الطرق بمناظر تصف بأسلوب ملحمي حملات الملك شلمنصر الثالث وتضم حواشي في الوسط وعلى الجانبين مع كتابات مسمارية.

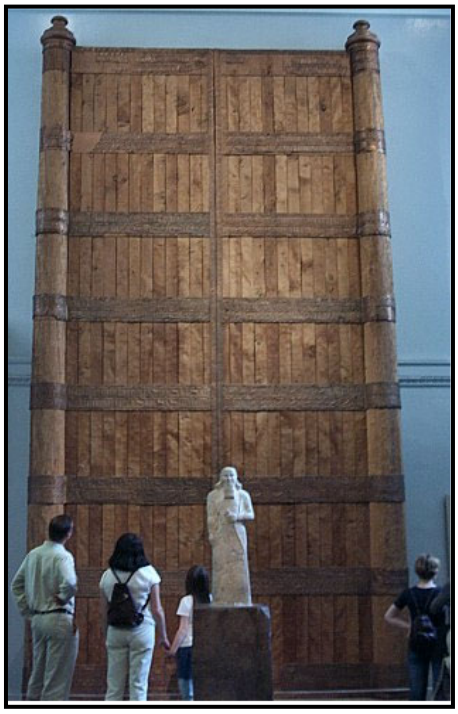

الشكل (٢) :
إعادة تكوين لأبـواب بـالاوات في المتحـف البريطـاني حيـث يظهـر مـصراعا البـاب المزينان بأشرطة برونزية ذات صور بارزة.

الشكل (٣) : **تفاصيل الأشرطة البرونزية في أبواب بالاوات**

الشكل (٤) : تفاصيل الأشرطة البرونزية في أبواب بالاوات

الشكل (٥) : تفاصيل الأشرطة البرونزية في أبواب بالاوات

أمثلة عن القصور الآشورية :

١ـ قصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود:

ويعرف بالقصر الشمالي الغربي ، تبلغ مساحته ٢٠٠×١٣٠ مترا مربعا ويتألف من ثلاثة أجنحة ، الجناح الشمالي وهو مخصص للإدارة ، ثم الجناح الوسطي وهو مخصص للتشريفات الملكية وأخيرا الجناح الجنوبي المخصص للسكن ، يتألف كل واحد من هذه الأجنحة من عدة مجاميع من الغرف مجتمعة حول فناء مربع أو مستطيل توجد ساحة أو فناء خارجي أو ما يعرف عند الآشوريين بمصطلح (البابانو) وكذلك فناء داخلي (البيتانو) ، ويربط مابين الفناءين غرفة واسعة وهي من اكبر غرف القصر وهي صالة العرش التي تبلغ أبعادها ١٠×٥٠ مترا مربعا . يوجد في الغرفة منصة واسعة يتم الصعود إليها بدرجتين وتقع في نهاية المحور الطويل وتشكل قاعدة للعرش الملكي .

الشكل (٥) : **مخطط عام لمدينة نمرود .**

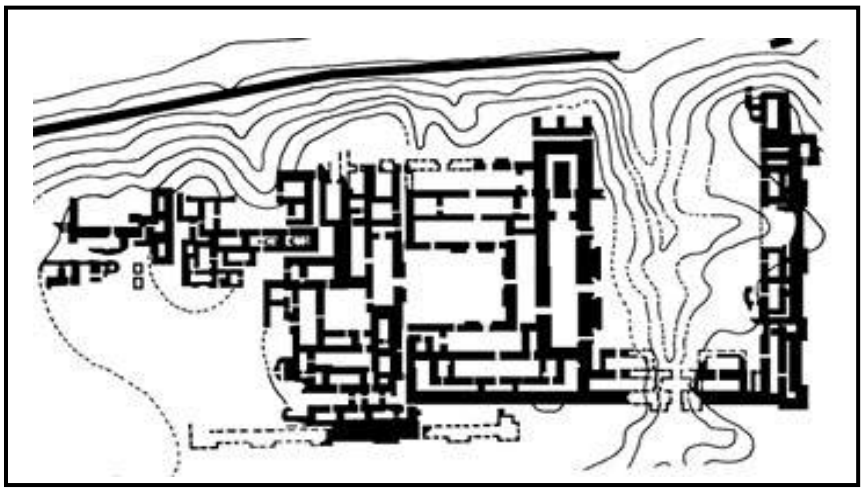

الشكل (٦) : مخطط قصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود

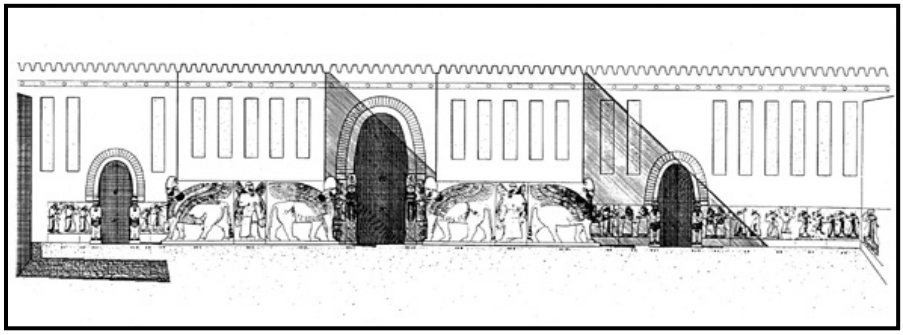

الشكل (٧) : تخطيط افتراضي لواجهة المدخل الرئيس لقصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود

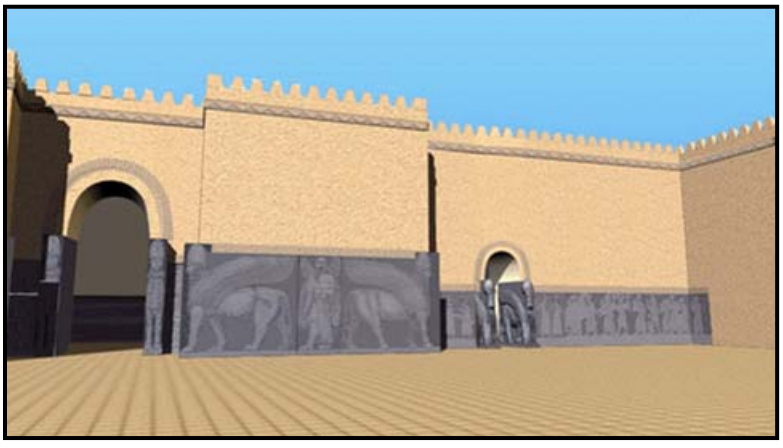

الشكل (٨) : إعادة تكوين افتراضي بالحاسوب لجزء من واجهة المدخل الرئيس لقصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود

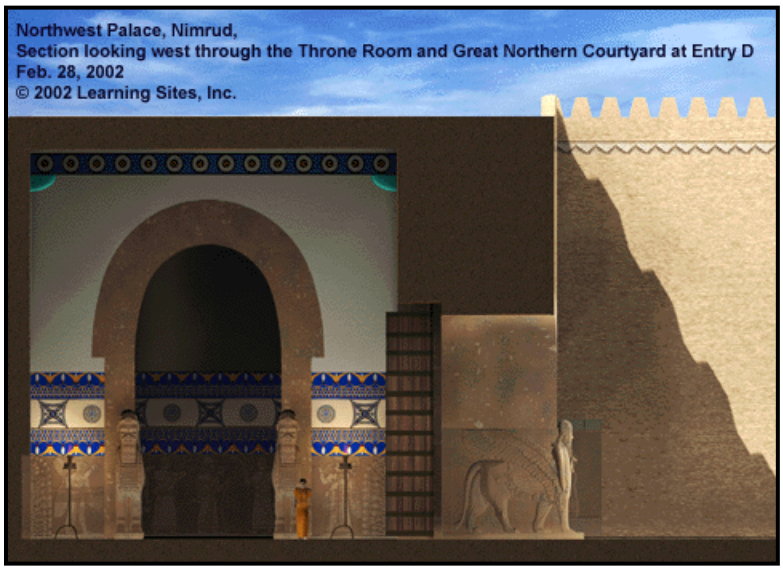

الشكل (٩) : إعادة تكوين افتراضي بالحاسوب للمدخل الرئيس لقصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود

الشكل (١٠) : إعادة تكوين افتراضي بالحاسوب لصالة العرش في قصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود .

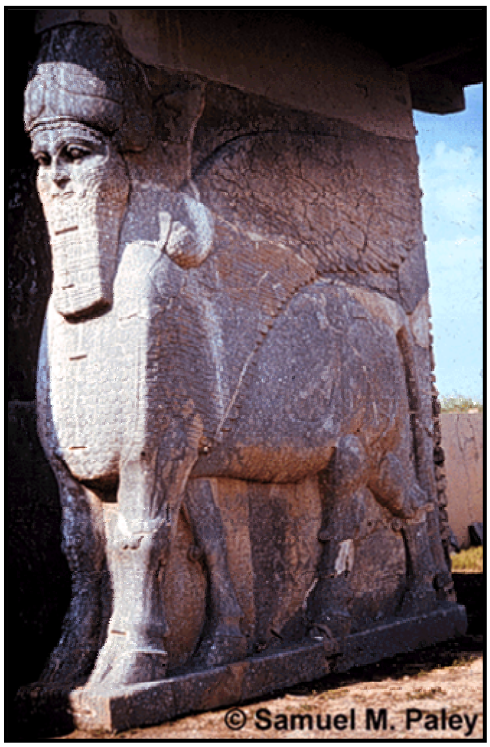

الشكل (١١) :
الثيران المجنحة في قصر آشور ناصر بال الثانى فى نمرود

٢ـ قصر سنحاريب في نينوى :

يعد هذا القصر من أهم المباني في مدينة نينوى ، يضم القصر مجموعة من الفناءات وهذه من السمات والتقاليد الشائعة في أبنية القصور الآشورية . ترتيب الغرف المجتمعة حول الفناءات قد اختلف شكلا ومضمونا عن النسق المألوف في القصور الآشورية السابقة . الغرف هنا يمكن الدخول إليها من عدة جوانب وليس من جانب واحد ، وهذا القول ينطبق على الفناءات والممرات . كانت للقصر ثلاثة مداخل في الواجهات الشمالية الشرقية والغربية والجنوبية الشرقية . في هذه الواجهات توجد بوابات واسعة مع أبراج ، تفضي هذه البوابات أو المداخل إلى غرفة واسعة مستطيلة الشكل هي صالة المدخل ، ومن صالة المدخل يمكن الوصول إلى فناءات ثانوية تنقلنا إلى الفناء الرئيسي الواقع في قلب المبنى .

الفناءات محاطة بمجموعات من الغرف ، هنا توجد غرف طويلة مستطيلة الشكل تنقسم إلى عدد من الغرف الصغيرة وهي مشتركة في قطاع بنائي واحد ذو جدارين طويلين مزودين بثلاثة بوابات وأبراج وتماثيل لثيران مجنحة تحف بالبوابات وهي مماثلة تماما لبوابات المداخل الرئيسة لكنها بمقياس اصغر.

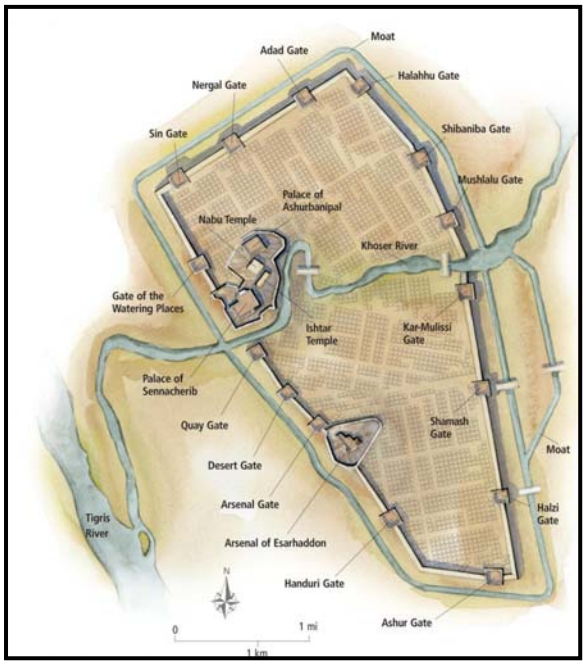

الشكل (١٢) : **مخطط عام لمدينة نينوى**

الشكل (١٣) : إعادة بناء لبوابة المسقى في مدينة نينوى

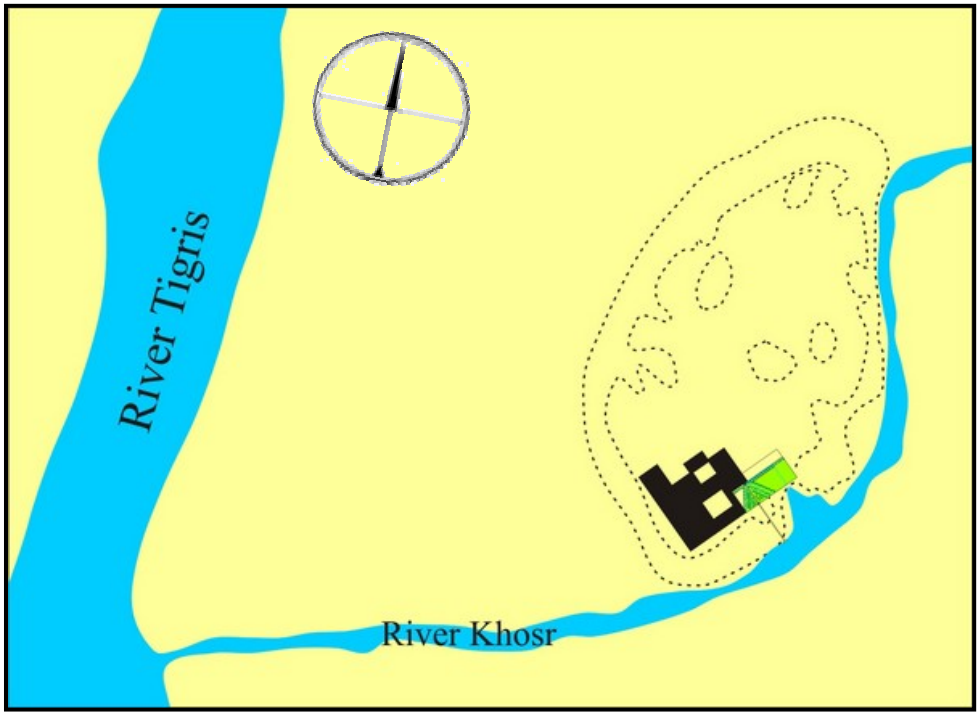

الشكل (١٤) : مخطط الموقع لقصر سنحاريب في مدينة نينوى

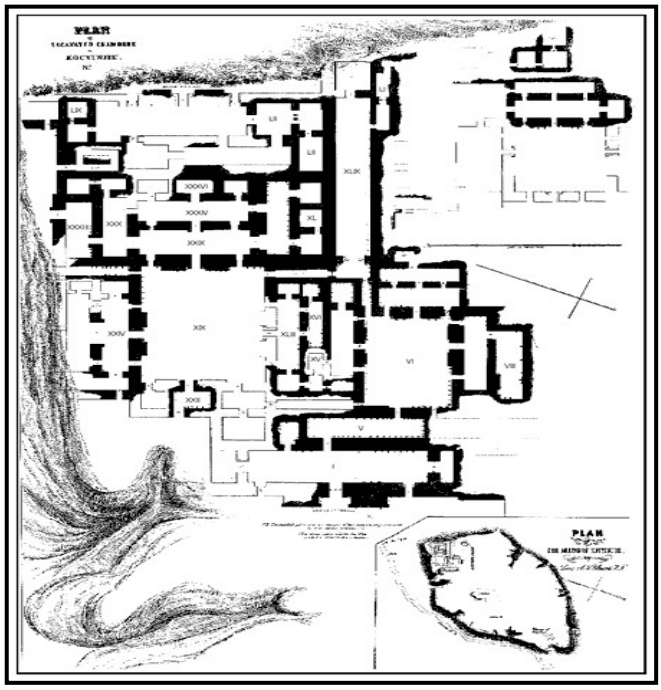

الشكل (١٥) : **مخطط قصر سنحاريب في مدينة نينوى**

الشكل (١٦) : **نحت جداري من قصر سنحاريب في مدينة نينوى .**

الشكل (١٧) : نحت جداري من قصر سنحاريب في مدينة نينوى

الشكل (١٨) : نحت جداري من قصر سنحاريب في مدينة نينوى .

٣ـ قصر سرجون في خورسباد :

كانت خورسباد احدث العواصم الآشورية من حيث التأسيس وتقع أطلالها حاليا إلى الشمال الشرقي في مدينة الموصل وقد بناها سرجون الثاني للفترة مابين ٧١٥–٧٠٦ ق . م .

تبلغ مساحة الأرض التي شيدت عليها المدينة ١٧٦٠*١٦٨٥ مترا مربعا وهي مربعة الشكل تقريبا ومحاطة بسور ضخم من اللبن تتجه زواياه نحو الجهات الأصلية الأربعة . واجهة السور تضم أبراجا وسبعة بوابات ضخمة ، حيث توجد بوابتان في كل ضلع من أضلاع السور ماعدا الضلع الشمالي الغربي الذي يضم بوابة واحدة وحيث حلت محل البوابة الثانية المسطبة التي شيد عليها حصن سرجون.

يقع قصر سرجون داخل الحصن الذي يفصله سور داخلي عن بقية أجزاء المدينة وتتخلل هذا السور مداخل ذات أبراج ، والقصر ذو مدخل صرحي ضخم يكتنفه برجان ضخمان وفيه ثلاث فتحات ذات عقود مستديرة مع ثيران مجنحة ، يتم الصعود إلى المدخل عبر سلالم ومرتقيات ، يفضي المدخل إلى فناء رئيسي واسع وهذا بدوره يفضي إلى فناء اصغر قليلا وهو فناء التشريفات الملكية . في إحدى النهايتين هنا توجد قاعة العرش ذات الشكل المستطيل ويتم الدخول إلى قاعة العرش عبر مدخل ثلاثي وهو مزين بتشكيلة من المنحوتات تحوي ما لا يقل عن عشرة ثيران مجنحة بأحجام متفاوتة ، تأتي بعد ذلك الأجنحة السكنية التي تحيط بفناء اصغر.

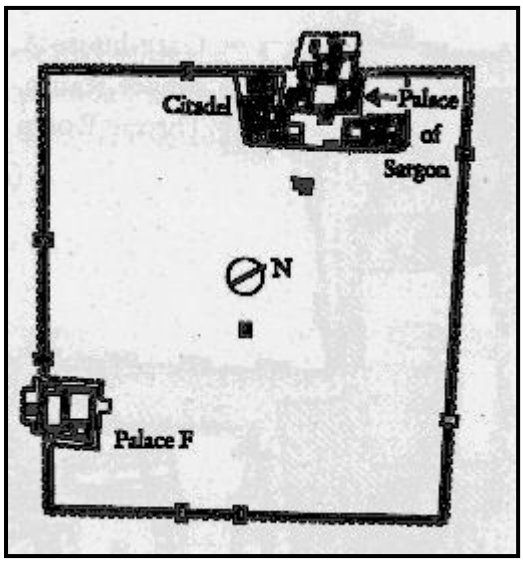

الشكل (١٩) : **مخطط عام لمدينة خورسباد**

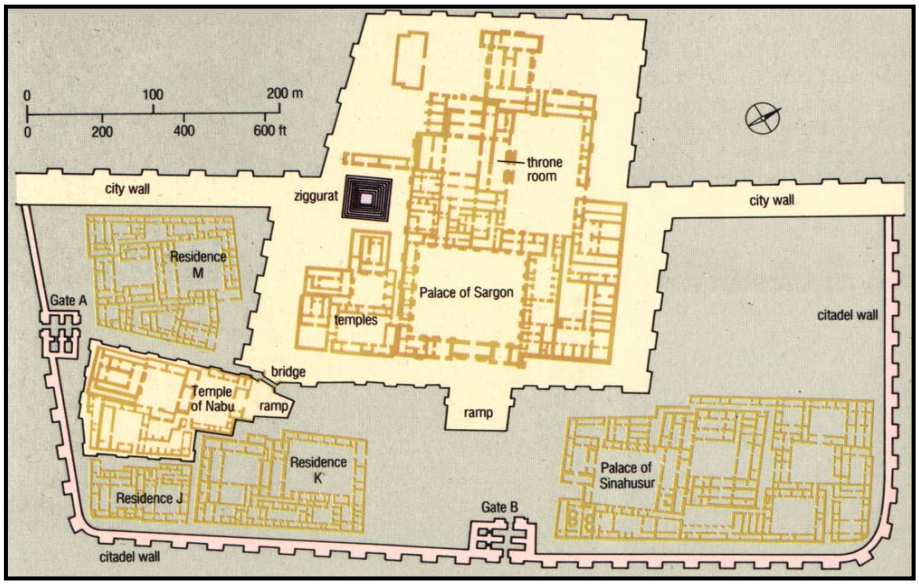

الشكل (٢٠) : مخطط عام لمنطقة القلعة والقصر في خورسباد

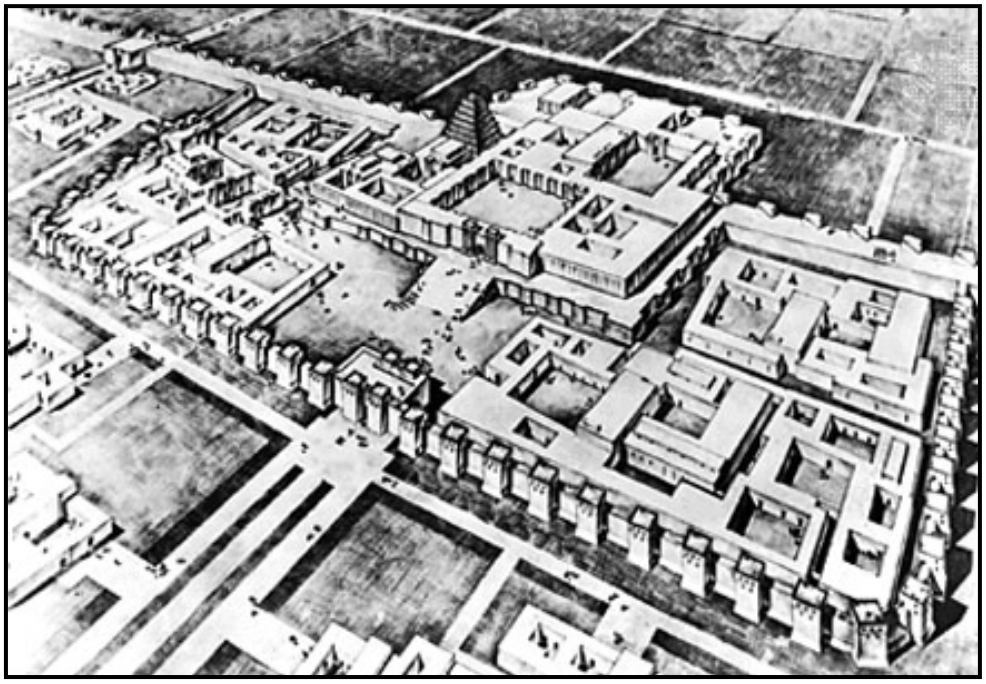

الشكل (٢١) : إعادة تكوين مجسم لمنطقة القلعة والقصر في مدينة خورسباد

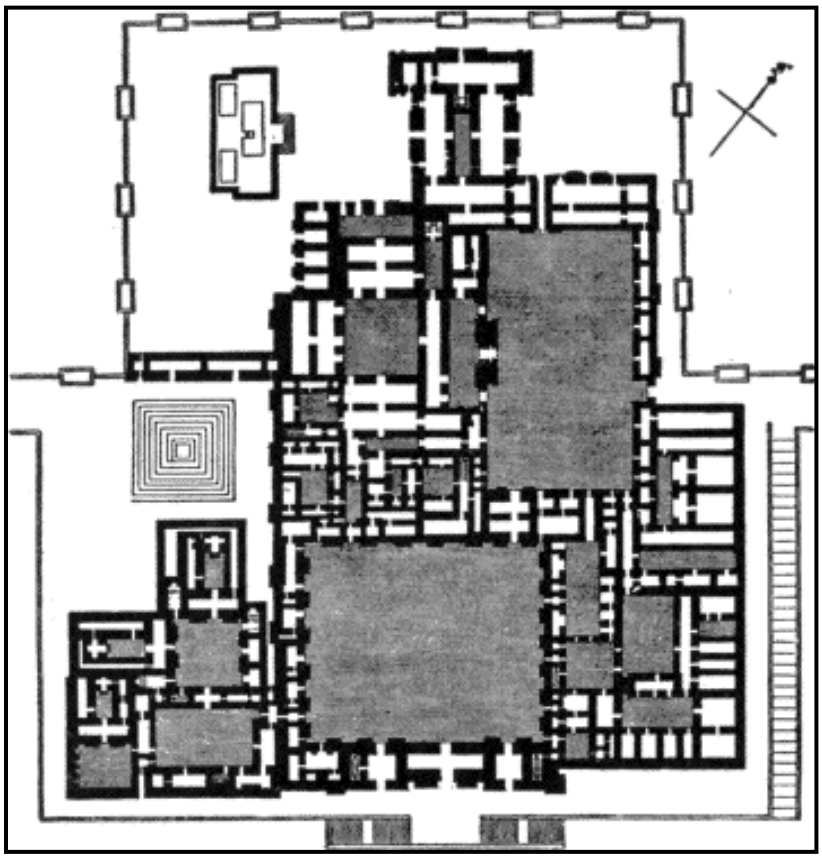

الشكل (٢٢) : مخطط قصر سرجون الثاني في مدينة خورسباد

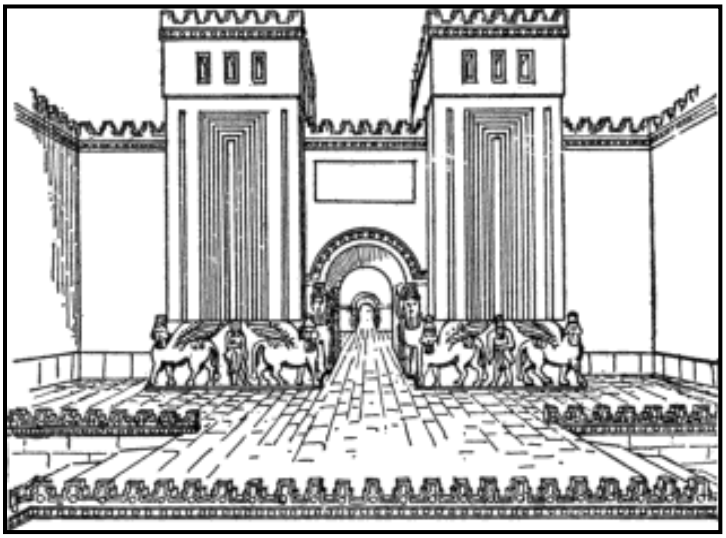

الشكل (٢٣) : إعادة تكوين افتراضية لبوابة قصر سرجون الثاني في مدينة خورسباد

الشكل (٢٤) : **إعادة بناء لبوابة قصر سرجون الثاني في مدينة خورسباد في المتحف البريطاني**

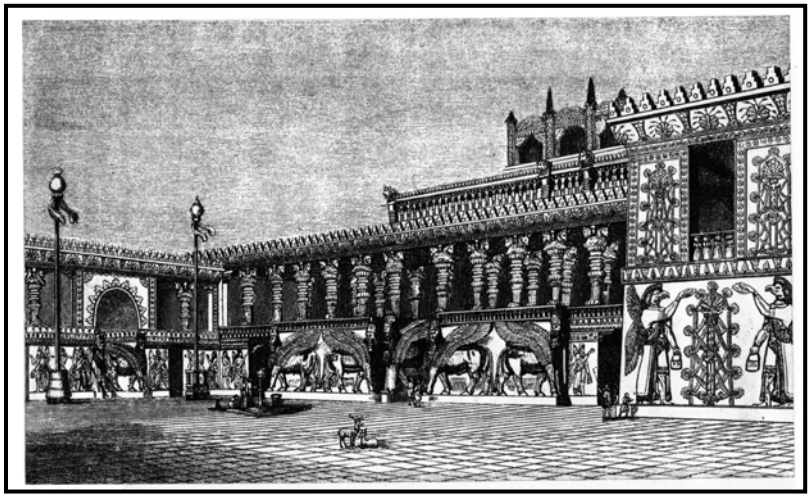

الشكل (٢٥) : **إعادة تكوين افتراضية لفناء قصر سرجون الثاني في مدينة خورسباد**

الخلاصة :

مثلت القصور الآشورية في فترة الإمبراطورية أو ما يعرف لدى المؤرخين بالفترة الآشورية الحديثة نمطا بنائيا مهما امتلك خصائصه المميزة والتي تمثلت بالضخامة والصرحية والمبالغة في تشييد بعض المكونات ذات القيم التعبيرية التي تعطي انطباعا عن قوة وهيبة الدولة وخاصة في البوابات التي حفت بها من جانبيها تماثيل الثيران المجنحة كتعبير عن القوة الحكمة مجتمعتين وكذلك تم استغلال واستخدام الفضاءات الداخلية لهذه القصور وخاصة

قاعة العرش كمعارض زاخرة بنتاجات النحت الآشوري المميز وبجداريات تحكي ملاحم الانتصارات الآشورية وتعطي صورا عن صرامة الملوك ومدى الإذلال الذي ألحقوه بأعدائهم وبلغت هذه حدا من التفصيل الدقيق امتد إلى الأشرطة المعدنية الرقيقة التي كانت بمثابة الأحزمة الرابطة لأجزاء الأبواب الخشبية كما في بالاوات وهذا أمر مبرر كون هذه القصور عبارة عن مباني رسمية ومقرات للحكم والإدارة ينبغي بها أن تقدم صورة واضحة عن هوية وشخصية الدولة .

التنظيم الفضائي الداخلي لهذه القصور راعى الاعتبارات الوظيفية والبيئية وخاصة المناخية منها وبشكل متميز. هنالك فصل واضح بين الأجزاء أو الأجنحة الرسمية المخصصة للملك لأداء واجباته الرسمية وبين تلك المخصصة لعائلته كأجنحة للسكن والمعيشة . نم استخدام الأفنية الداخلية كعنصر أساسي للتهوية والإضاءة الطبيعيتين وكذلك كموزع رئيسي تعتمد عليه منظومة الحركة ضمن مبنى القصر .كان هنالك فناء خارجي (بابانو) قليل الخصوصية وآخر داخلي (بيتانو) عالي الخصوصية ومثل هذا التنظيم انتقل لاحقا إلى البيت الموصلي الذي يعد وريثا شرعيا للبيت الآشوري فظهر الحوش الخارجي (البراني) و الحوش الداخلي (الجواني). كذلك انتقلت سمات وخصائص أخرى إلى البيت الموصلي كتنظيم الغرف حول الاواوين بأسلوب مماثل لتنظيم البوابات الآشورية ولكن بدون ثيران مجنحة بحكم ما فرضته تعاليم الإسلام من كره لأسلوب التجسيد في النتاج الفني . أيضا المداميك السفلى للجدران الداخلية أو ما تعرف بالداد وهي من حجر المرمر الموصلي اتخذت طابعا مماثلا لما كانت عليه في القصور الآشورية مع استبدال النحوت البارزة ذات النمط التجسيدي بزخارف نباتية وأشكال هندسية مجردة .